

الرافعى

رحمةُ الله عليك ! رحمةُ الله عليك !
رحمة الله لقلبي حزين ، وكبيدِ مَصْدُوعَةٍ !

* * *

لم أفقدك أيها الحبيب ولكنى فقدتُ قلبي .
كنت لى أملاً أستمسكُ به كلما تَقَطَّعتُ آمالى فى الحياة .
كنت راحةً قلبى كلما اضطرب القلبُ فى العناء .
كنت الينبوعَ الرؤى كلما ظمىء القلبُ وأحرقه الصدى .
كنت فجرًا يتبلج نوره فى قلبى وتنفس نسماته ، فوجدتُ قلبى ...
إذ وجدتُ علاقتى بك .
لم أفقدك أيها الحبيب ولكنى فقدتُ قلبى .

* * *

جزعى عليك يمسك لسانى أن يقول ، ويرسل دمعى ليتكلم . والأحزانُ تجدُ
الدمع الذى تذوب فيه لتهونَ وتضائل ، ولكنَّ أحزاني عليك تجد الدمع الذى
تروى منه لتنمو وتنتشر .
ليس فى قلبى مكان لم يرفَّ عليه حبى لك وهواى فىك ، فليس فى القلبِ
مكان لم يحرقه حزنى فىك وجزعى عليك . هذه دموعى تُترجم عن أحزانِ قلبى ،
ولكنها دموع لا تُحسِنُ تتكلم .

* * *

عشتُ بنفسٍ مُجْدِبةٍ قد انصرفَ عنها الخصب ، ثم رحمَ اللهَ نفسى بزهرتين
تَرَفَّانِ نَضْرَةَ وِرواء . كنتُ أجدُ فى أنفاسهما ثروةَ الروضة الممرعة فلا أحسُّ فقر
الجذب !

أما إحداهما فقد قطفنَّها حقيقةَ الحياة ، وأما الأخرى فانترعتها حقيقةً
الموت ، وبقيت نفسى مجدبة تستشعرُ ذلَّ الفقر .

* * *

تحت الثرى ... عليك رحمة الله التى وسعتُ كلَّ شىء ، وفوق الثرى ...
علىَّ أحزان قلبى التى ضاقت بكل شىء ؛ تحت الثرى تتجددُ عليك أفراح الجنة ؛
وفوق الثرى تتفادى علىَّ أحزان الأرض !
تحت الثرى تتراعى لزوجك كلُّ حقائق الخلود وفوق الثرى تتحقَّق فى قلبى
كلُّ معانى الموت . لم أفقدك أيها الحبيب ولكنى فقدت قلبى

* * *

حضرتُ أجلك ، فحضرتنى همومى وآلامى .
فبين ضلوعى مآتم قد اجتمعت فيه أحزاني للبكاء ؛ وفى روحى جنازة قد
تهَيَّأت لتسير ؛ وعواطفى تُشيعُ الميت الحبيب مُطرقة صامته ؛ والجنازة كلها فى
دمى - فى طريقها إلى القبر وفى القلب ... فى القلب تُحفَرُ القبورُ العزيرة التى
لا تُنسى

* * *

فى القلب يجد الحبيب روحَ الحياة وقد فرغ من الحياة ؛ وتجد الروح أحبابها
وقد نأى جثمانها .

فى قلبى تجد الملائكة مكاناً طهَّرتَه الأحزان من رجس الذات .
وتجدُ أجنحتها الروح الذى تهفِّف عليه وتحفِّى به .
هنا ... فى القلب ، تنزلُ رحمة الله على أحبائى وأحزاني ، وفى القلب تعيش
الأرواح الحبيبة الخالدة التى لا تُفنى ، وفى القلب تُحفَرُ القبور العزيرة التى لا تُنسى .

* * *

لم تُبقِ لى بَعْدَكَ أَيها الحبيب إلا الشوقَ إلى لقاءك .
 فقدتُكَ وَحْدِي إذ فقدك الناس جميعًا .
 سَمَا بِكَ فرحك بالله ، وقعدت بي أحزاني عليك .
 لقد وجدت الأُنْسَ فى جوارِ رَبِّكَ ، فوجدتُ الوحشةَ فى جوار الناس .
 لم أفقدك أَيها الحبيب ولكنى فقدتُ قلبى
 لم تُبقِ لى بَعْدَكَ إلا الشوقَ إلى لقاءك
 رحمة الله عليك ، رحمة الله عليك !

* * *